كلية العلوم، جامعة طنطا
Faculty of Science, Tanta University
خريجو كلية العلوم
بين الفرص والتحديات
رحلة البحث عن المكان الحقيقي
في عالم سريع التغير
دكتورة / صفاء المصرى
عضو هيئة التدريس بكلية العلوم جامعة طنطا

خريجو كلية العلوم بين الفرص والتحديات

"رحلة البحث عن المكان الحقيقي في عالم سريع التغير"

د. صفاء المصري

عضو هيئة التدريس بقسم النبات والميكروبيولوجي – كلية العلوم – جامعة طنطا

المحتوى

1. المقدمة
2. هل تغير سوق العمل أم تغيرت قواعد اللعبة؟
3. الشهادة التي كانت تكفي بالأمس
4. الخريجون الذين رأوا ما لم يره الآخرون
5. كيف تقرأ المستقبل قبل أن يصل؟ ... هنا تظهر خبرتك الحقيقية.
6. من يقرأ الحاضر... ومن يقرأ المستقبل
7. المهارات التي لا تظهر في كشف الدرجات
8. المكان الحقيقي لا يُمنح... بل يُبنى
9. الخاتمة

1- المقدمة

في المقال السابق

فجوة في توظيف خريجى كلية العلوم

هل سوق العمل غيرجاهز... أم أن خريجينا غيرمستعدين للمنافسة؟

قراءة نقدية واقع خريجي كليات العلوم في جمهورية مصر العربية وأسباب فجوة التوظيف

https://sci.tanta.edu.eg/files/employment.pdf

تناولنا واحدة من أكثر القضايا إثارة للجدل في الأوساط الأكاديمية والمجتمعية، وهي قضية توظيف خريجي كليات العلوم، وحاولنا أن نناقشها بعيدًا عن الأحكام السريعة والتفسيرات المبسطة التي تُرجع المشكلة بالكامل إلى سوق العمل أو إلى الخريج وحده.

وقد خلصنا إلى أن الواقع أكثر تعقيدًا من ذلك، وأن الفجوة القائمة بين الخريج وسوق العمل هي نتاج مجموعة متداخلة من العوامل تشمل طبيعة التعليم، ومتطلبات سوق العمل المتغيرة، ومستوى الجاهزية المهنية، والقدرة على المنافسة والتكيف مع المستجدات.

وقد تناول المقال الأول عددًا من المحاور المهمة، بدءًا من التحولات التي شهدها سوق العمل خلال السنوات الأخيرة، مرورًا بمفهوم القيمة الحقيقية للشهادة الجامعية، ودور المهارات التطبيقية في تعزيز القدرة التنافسية للخريج، وصولًا إلى مسؤوليات المؤسسات التعليمية وأعضاء هيئة التدريس والطلاب أنفسهم في بناء منظومة أكثر قدرة على إعداد خريج يواكب متطلبات العصر.

لكن كلما تعمقنا في مناقشة هذه القضية، برزت أمامنا أسئلة أخرى لا تقل أهمية عن السؤال الأول، وربما كانت أكثر إلحاحًا منه. فبعد سنوات طويلة يقضيها الطالب في الدراسة والاجتهاد، وبعد مئات الساعات داخل قاعات المحاضرات والمعامل، وبعد نجاحات متراكمة ودرجات مرتفعة وتقديرات يعتز بها صاحبها وأسرته، يقف الخريج أمام السؤال الذي يمثل نقطة التحول الكبرى في حياته:

ماذا بعد؟

ماذا بعد الشهادة؟

وماذا بعد التخرج؟

وأين المكان الذي يمكن أن يجد فيه هذا الخريج نفسه وسط عالم تتغير ملامحه كل يوم بوتيرة أسرع مما اعتدناه؟

ولعل ما يدفعني إلى مواصلة الكتابة في هذا الموضوع ليس فقط أهميته، وإنما أيضًا ما أتاحته لي سنوات العمل داخل الجامعة من فرصة لمعايشة هذه القضية عن قرب. فعلى مدار أكثر من ربع قرن من العمل الأكاديمي، تعاملت مع مختلف مكونات المؤسسة التعليمية؛ طالبًا وباحثًا، ومعيدًا ومدرسًا مساعداً ثم عضو هيئة تدريس، وشهدت أجيالًا متعاقبة من الطلاب، أحرص دوماً على التواصل معهم على قدر ما يتيح وقتي وعلى قدر ثقتهم في رأيي الذين يطلبون أحيانا نصيحتي في أمور تخص حياتهم بعد التخرج ... بعضهم استطاع أن يصنع لنفسه مكانًا مميزًا في سوق العمل، وبعضهم الآخر ظل يبحث طويلًا عن فرصة تتناسب مع ما بذله من جهد وما حققه من تفوق.

وخلال هذه الرحلة الطويلة، كان المشهد يتكرر بصورة تدعو إلى التأمل؛ خريجون يمتلكون سجلات أكاديمية مشرفة، وتقديرات مرتفعة، ومعرفة علمية لا يستهان بها،

لكنهم يقفون حائرين أمام عالم العمل، يتساءلون عن الطريق الذي ينبغي أن يسلكوه، وعن السبب الذي يجعل سنوات الكفاح الطويلة لا تنعكس دائمًا في صورة الفرص التي كانوا يتوقعونها.

ومن هنا جاءت الحاجة إلى استكمال هذا النقاش من خلال سلسلة من المقالات التي لا تدّعي امتلاك الحقيقة الكاملة، وإنما تقدم وجهة نظر متواضعة تشكلت عبر سنوات من الملاحظة والخبرة والتعامل المباشر مع الواقع الجامعي وسوق العمل. فالقضية أكبر من أن تُختزل في مقال واحد، وأعمق من أن تُفسَّر بسبب واحد.

وفي هذا المقال نحاول أن ننتقل خطوة أخرى إلى الأمام، لنناقش رحلة خريج العلوم بين الفرص والتحديات، وكيف يمكن له أن يبحث عن مكانه الحقيقي في عالم سريع التغير، وما الذي يميز الخريجين القادرين على تحويل المعرفة إلى قيمة، والشهادة إلى فرصة، والتعلم إلى أثر حقيقي يمتد إلى المجتمع وسوق العمل معًا.

2- هل تغير سوق العمل أم تغيرت قواعد اللعبة؟

دخل آلاف الطلاب الجامعة وهم يظنون أنهم يعرفون شكل خط النهاية، لكنهم اكتشفوا بعد سنوات أن السباق نفسه قد تغير، وأن القواعد التي بُنيت عليها توقعاتهم لم تعد هي القواعد التي تحكم الواقع اليوم.

قبل سنوات ليست بالبعيدة، كانت رحلة الطالب الجامعي تبدو واضحة المعالم إلى حد كبير. يجتهد في دراسته، يحقق تقديرًا جيدًا، يتخرج، ثم يبدأ رحلة البحث عن وظيفة في مجال تخصصه. لم تكن الطرق دائمًا سهلة، لكنها كانت مفهومة، وكانت قواعد اللعبة معروفة إلى حد كبير للجميع.

أما اليوم، فقد تغير المشهد بصورة لافتة.

فالطالب الذي يدخل الجامعة في عامه الأول قد يتخرج ليجد نفسه أمام سوق عمل يختلف كثيرًا عن السوق الذي كان قائمًا عند بداية دراسته. وظائف كانت مطلوبة بشدة قبل سنوات بدأت تتراجع أهميتها، ومجالات جديدة ظهرت لم تكن موجودة أو معروفة على نطاق واسع، وتقنيات حديثة أعادت تشكيل طبيعة العمل في قطاعات كاملة.

ولعل هذا ما يجعل كثيرًا من الخريجين يشعرون بالحيرة. فهم لم يقصروا في أداء ما طُلب منهم. حضروا المحاضرات، واجتازوا الاختبارات، وأنجزوا المشروعات المطلوبة، وحصل بعضهم على تقديرات مرتفعة تضعهم في مقدمة زملائهم. ومع ذلك، يجدون أنفسهم أمام سؤال صعب:

إذا كنت قد فعلت كل ما كان مطلوبًا مني، فلماذا لا يبدو الطريق واضحًا كما توقعت؟

والحقيقة أن الإجابة لا تكمن في ضعف الخريـج، كما لا تكمن بالضرورة في قلة الفرص، وإنما في أن قواعد اللعبة نفسها تغيرت.

لقد أصبح العالم أكثر سرعة من أي وقت مضى. فالتطورات التكنولوجية المتلاحقة، والاقتصاد الرقمي، والذكاء الاصطناعي، والتحولات الصناعية والبيئية، كلها عوامل أعادت رسم خريطة الوظائف والمهارات المطلوبة. ولم يعد النجاح المهني يعتمد على المعرفة الأكاديمية وحدها، بل أصبح يرتبط بقدرة الفرد على التعلم المستمر والتكيف مع التغيرات واستثمار الفرص الجديدة.

وتشير تقارير سوق العمل العالمية إلى أن المهارات التي يحتاجها أصحاب العمل تشهد تغيرًا متسارعًا. فوفقًا لتقرير مستقبل الوظائف الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي، يتوقع أن تتغير نسبة كبيرة من المهارات الأساسية المطلوبة في الوظائف خلال

السنوات القادمة، بينما تتصدر مهارات مثل التفكير التحليلي، والمرونة، وحل المشكلات المعقدة، والتعلم المستمر قائمة المهارات الأكثر أهمية للمستقبل.

وهنا تبرز حقيقة قد تبدو غير مريحة للبعض، لكنها ضرورية للفهم الصحيح للمشهد الحالي:

لم يعد السؤال الأهم هو: "ما الوظيفة التي سأحصل عليها بعد التخرج؟"

بل أصبح السؤال:

"ما القيمة التي أستطيع تقديمها في عالم تتغير احتياجاته باستمرار؟"

إن الفرق بين هذين السؤالين كبير للغاية. فالسؤال الأول يجعل الإنسان منتظرًا للفرصة، بينما يدفعه السؤال الثاني إلى البحث عنها وصناعتها والاستعداد لها.

ومن خلال سنوات طويلة قضيتها داخل الجامعة، رأيت نماذج عديدة لخريجين متفوقين أكاديميًا، لكنهم واجهوا صعوبة في الانتقال من مقاعد الدراسة إلى عالم العمل. وفي المقابل، رأيت خريجين آخرين لم يكونوا بالضرورة الأعلى درجات، لكنهم امتلكوا القدرة على قراءة الواقع، وفهم التحولات الجارية، واكتشاف المساحات الجديدة التي يمكن أن يضيفوا من خلالها قيمة حقيقية.

وهنا نصل إلى نقطة جوهرية:

ربما لم يتغير سوق العمل وحده، وربما لم يتغير الخريجون وحدهم، لكن المؤكد أن قواعد اللعبة نفسها أصبحت مختلفة، وأن النجاح في هذا العصر لم يعد يعتمد فقط على ما نعرفه، بل على قدرتنا على توظيف ما نعرفه في الوقت المناسب والمكان المناسب.

ومن هنا يبدأ السؤال التالي، وهو السؤال الذي قد يكون أكثر أهمية من الحديث عن الوظائف نفسها:

كيف استطاع بعض الخريجين أن يروا فرصًا لم يرها غيرهم؟

3-الشهادة التي كانت تكفي بالأمس

لعل من أكثر العبارات التي تتردد على ألسنة الخريجين اليوم قولهم:

"لقد فعلنا كل ما طُلب منا، فلماذا لا تبدو النتائج كما كانت تبدو لمن سبقونا؟"

وهو سؤال مشروع، بل وربما يحمل في داخله شيئًا من الحيرة التي يعيشها كثير من الشباب بعد سنوات طويلة من الدراسة والاجتهاد.

ففي عقود سابقة، كانت العلاقة بين التعليم والعمل أكثر وضوحًا واستقرارًا. كان الطالب يجتهد في دراسته، ويحصل على شهادته الجامعية، ثم يبدأ رحلة البحث عن وظيفة وهو يحمل قدرًا معقولًا من الثقة بأن سنوات الدراسة التي قضاها ستقوده في النهاية إلى مكان مناسب في سوق العمل.

لم تكن الطريق خالية من التحديات، لكنها كانت أكثر وضوحًا. وكانت الشهادة الجامعية تمثل في كثير من الأحيان جواز مرور فعليًا إلى الحياة المهنية.

وقد نشأت أجيال كاملة وهي ترى نماذج ناجحة تؤكد هذه الفكرة. أب أو أم أو قريب تخرج من الجامعة، ثم انتقل بصورة طبيعية نسبيًا إلى وظيفة مستقرة، وتدرج فيها حتى بنى مسيرته المهنية.

لكن العالم الذي صنع تلك المعادلة لم يعد هو العالم نفسه.

لقد تغير الاقتصاد العالمي بصورة جذرية خلال العقود الأخيرة. فالثورة الرقمية أعادت تشكيل قطاعات كاملة، والذكاء الاصطناعي بدأ يغير طبيعة العمل في مهن كثيرة، والعولمة فتحت أبواب المنافسة على نطاق لم يكن متصورًا من قبل، بينما أصبحت المعرفة تتضاعف بوتيرة تجعل بعض المهارات تفقد قيمتها خلال سنوات قليلة إذا لم يتم تحديثها باستمرار.

وأمام هذه التحولات، لم تعد الشهادة الجامعية وحدها قادرة على أداء الدور الذي كانت تؤديه سابقًا.

وهنا يجب أن نتوقف لحظة عند نقطة مهمة.

إن القول بأن الشهادة لم تعد كافية لا يعني التقليل من قيمتها أو أهميتها. فالشهادة ما زالت تمثل أساسًا علميًا ومعرفيًا لا غنى عنه، وما زالت الدليل الأول على أن صاحبها امتلك الحد الأدنى من المعرفة الأكاديمية المنظمة في تخصصه.

لكن الفرق أن الشهادة تحولت من كونها نهاية الرحلة إلى كونها نقطة البداية.

لقد أصبحت تفتح الباب، لكنها لم تعد تضمن وحدها عبوره.

نافذة رقمية

تشير تقارير المنتدى الاقتصادي العالمي إلى أن ما يقرب من 39% من المهارات الأساسية المطلوبة في سوق العمل سوف تتغير بحلول عام 2030 نتيجة التحولات التقنية والاقتصادية المتسارعة.

وهذا يعني أن الخريج الذي يعتمد فقط على ما تعلمه خلال سنوات الدراسة الجامعية قد يجد نفسه بعد سنوات قليلة أمام متطلبات جديدة لم تكن مطروحة أثناء دراسته.

وإذا كانت الأجيال السابقة قد تنافست غالبًا داخل حدود سوق محلي محدود، فإن خريج اليوم ينافس في بيئة مختلفة تمامًا. فهو لا يتنافس فقط مع زملائه في الجامعة أو حتى داخل مدينته، بل أصبح جزءًا من سوق عالمي مفتوح تتحرك فيه المعرفة والمهارات بسرعة غير مسبوقة.

ولهذا السبب لم يعد أصحاب العمل يسألون فقط:

"ماذا درست؟"

بل أصبحوا يسألون أيضًا:

"ماذا تستطيع أن تفعل؟"

"وما المهارات التي تمتلكها؟"

"وكيف تتعامل مع المشكلات الجديدة؟"

"وهل تستطيع التعلم والتكيف مع التغيرات المستمرة؟"

وهنا يظهر التحول الحقيقي.

فالفرق بين الأمس واليوم ليس أن قيمة التعليم تراجعت، بل أن متطلبات النجاح أصبحت أوسع من التعليم وحده.

ومن خلال سنوات طويلة قضيتها بين الطلاب والخريجين، كنت أرى أحيانًا خريجين يمتلكون تقديرات أكاديمية مرتفعة، لكنهم يواجهون صعوبة في الانتقال إلى سوق العمل لأنهم اعتقدوا أن الشهادة هي المحطة الأخيرة. وفي المقابل، رأيت خريجين آخرين تعاملوا مع الشهادة باعتبارها الخطوة الأولى فقط، فواصلوا التعلم والتدريب واكتساب الخبرات، وكانت قدرتهم على التكيف أكبر بكثير.

ولعل الدرس الأهم هنا هو أن المشكلة ليست في الشهادة، بل في توقعاتنا منها.

فالشهادة ما زالت تملك قيمتها، لكنها لم تعد وحدها كافية لبناء المستقبل المهني الذي نحلم به.

ولهذا يصبح السؤال التالي أكثر أهمية من أي وقت مضى:

إذا كانت الشهادة هي البداية فقط، فما الذي يجعل بعض الخريجين قادرين على تحويلها إلى قصة نجاح حقيقية بينما يتعثر آخرون؟

4-الخريجون الذين رأوا ما لم يره الآخرون

في كل دفعة جامعية تقريبًا، يتخرج عشرات وربما مئات الطلاب من القاعات نفسها، ويحضرون المحاضرات نفسها، ويدرسون المقررات ذاتها، ويؤدون الاختبارات تحت الظروف نفسها تقريبًا. ومع ذلك، وبعد سنوات قليلة من التخرج، تتباين مساراتهم بصورة قد تثير الدهشة.

فنجد من استطاع أن يشق طريقه بثبات نحو النجاح المهني، وأن يبني لنفسه مكانًا مميزًا في سوق العمل، بينما لا يزال آخرون يبحثون عن نقطة البداية أو ينتظرون الفرصة التي طال انتظارها.

وهنا يبرز سؤال مهم:

هل كان هؤلاء أكثر ذكاءً من زملائهم؟

وهل كانوا بالضرورة أصحاب أعلى التقديرات؟

تجربتي الشخصية الممتدة لأكثر من ربع قرن داخل الجامعة تجعلني أميل إلى إجابة مختلفة.

ففي كثير من الأحيان، لم يكن الفارق الحقيقي في مستوى الذكاء أو في عدد الدرجات التي حصل عليها الطالب، بل في طريقة النظر إلى الواقع، وفي القدرة على رؤية الفرص التي لم ينتبه إليها الآخرون.

لقد أدرك بعض الخريجين مبكرًا أن سوق العمل ليس قائمة ثابتة من الوظائف التقليدية، وإنما منظومة متغيرة تتشكل باستمرار وفق احتياجات المجتمع والاقتصاد والتكنولوجيا. وبينما كان البعض يبحث عن فرصة داخل المسارات المعروفة فقط، كان آخرون يراقبون التحولات الجارية ويحاولون اكتشاف أين تتجه الاحتياجات الجديدة وأين يمكن أن تكون لهم قيمة مضافة.

فخريج علوم النبات، على سبيل المثال، لم يعد محصورًا بالضرورة في التدريس أو العمل المعملي التقليدي. فمع التوسع العالمي في مجالات الزراعة المستدامة والنباتات الطبية والعطرية والأمن الغذائي، ظهرت فرص جديدة تتطلب خلفية علمية قوية وفهمًا متخصصًا للنباتات وخصائصها واستخداماتها الاقتصادية.

وخريجة الكيمياء التي كانت تنظر إلى المعامل التقليدية باعتبارها المسار الوحيد الممكن، اكتشفت أن الصناعات الغذائية والدوائية وأنظمة الجودة وسلامة المنتجات تحتاج إلى الكفاءات نفسها، بل وتفتح أحيانًا آفاقًا أوسع للنمو المهني والتطور الوظيفي.

أما بعض خريجي الفيزياء والرياضيات، فقد وجدوا أنفسهم في مجالات لم تكن مطروحة على نطاق واسع قبل سنوات قليلة، مثل تحليل البيانات، والنمذجة الرياضية، والذكاء الاصطناعي، وإدارة الأنظمة التقنية المتقدمة. ولم يكن انتقالهم إلى هذه المجالات نتيجة الصدفة، بل نتيجة قدرتهم على قراءة التحولات التي يشهدها العالم والاستعداد لها قبل أن تصبح الخيار السائد للجميع.

واللافت للنظر أن هؤلاء الخريجين لم يكونوا يبحثون فقط عن وظيفة، بل كانوا يبحثون عن احتياج حقيقي يمكنهم تلبيته. لقد انتقلوا من سؤال: "أين أجد فرصة عمل؟" إلى سؤال أكثر عمقًا وتأثيرًا: "أين يمكن أن أقدم قيمة حقيقية؟"

وهنا يكمن الفارق الجوهري.

فالشخص الذي يبحث عن وظيفة فقط يركز غالبًا على ما هو متاح الآن، أما الشخص الذي يبحث عن القيمة فيحاول أن يفهم ما الذي سيحتاجه المجتمع والاقتصاد بعد سنوات، ثم يبدأ في إعداد نفسه لذلك منذ اليوم.

ولعل أحد الأخطاء الشائعة التي يقع فيها بعض الخريجين هو النظر إلى سوق العمل باعتباره صورة ثابتة لا تتغير، بينما الحقيقة أن السوق يشبه الكائن الحي؛ ينمو ويتطور ويعيد تشكيل احتياجاته باستمرار. والفرص الجديدة غالبًا لا تعلن عن نفسها بصوت مرتفع في بداياتها، بل تحتاج إلى عين يقظة تستطيع أن تلتقط الإشارات المبكرة للتغيير.

إن التوسع في الصناعات الدوائية، والاهتمام المتزايد بالاستدامة البيئية، والتوجه نحو الاقتصاد الأخضر، والاعتماد المتزايد على البيانات والذكاء الاصطناعي، كلها أمثلة على تحولات تفتح أبوابًا واسعة أمام خريجي العلوم القادرين على الربط بين تخصصاتهم العلمية وبين احتياجات الواقع.

ومن هنا يمكن القول إن الفرق بين الخريجين الذين تقدموا بخطوات واسعة وبين غيرهم لم يكن أنهم رأوا مستقبلًا مختلفًا، بل أنهم قرأوا الحاضر بصورة مختلفة.

لقد رأوا في التغير فرصة لا تهديدًا، وفي التعلم المستمر ضرورة لا رفاهية، وفي الشهادة بداية للطريق لا نهايته.

ولهذا لم ينتظروا أن يأتي المستقبل إليهم، بل بدأوا في الاستعداد له بينما كان الآخرون لا يزالون يناقشون ما إذا كان هذا المستقبل سيأتي أم لا.

وهنا نصل إلى سؤال أكثر أهمية:

إذا كانت القدرة على رؤية الفرص ترتبط بفهم اتجاهات المجتمع والاقتصاد، فكيف يستطيع خريج العلوم أن يقرأ المشهد من حوله قراءة صحيحة؟ وكيف يمكنه أن يكتشف أين تتشكل الفرص الجديدة قبل أن تصبح مزدحمة بالمنافسين؟

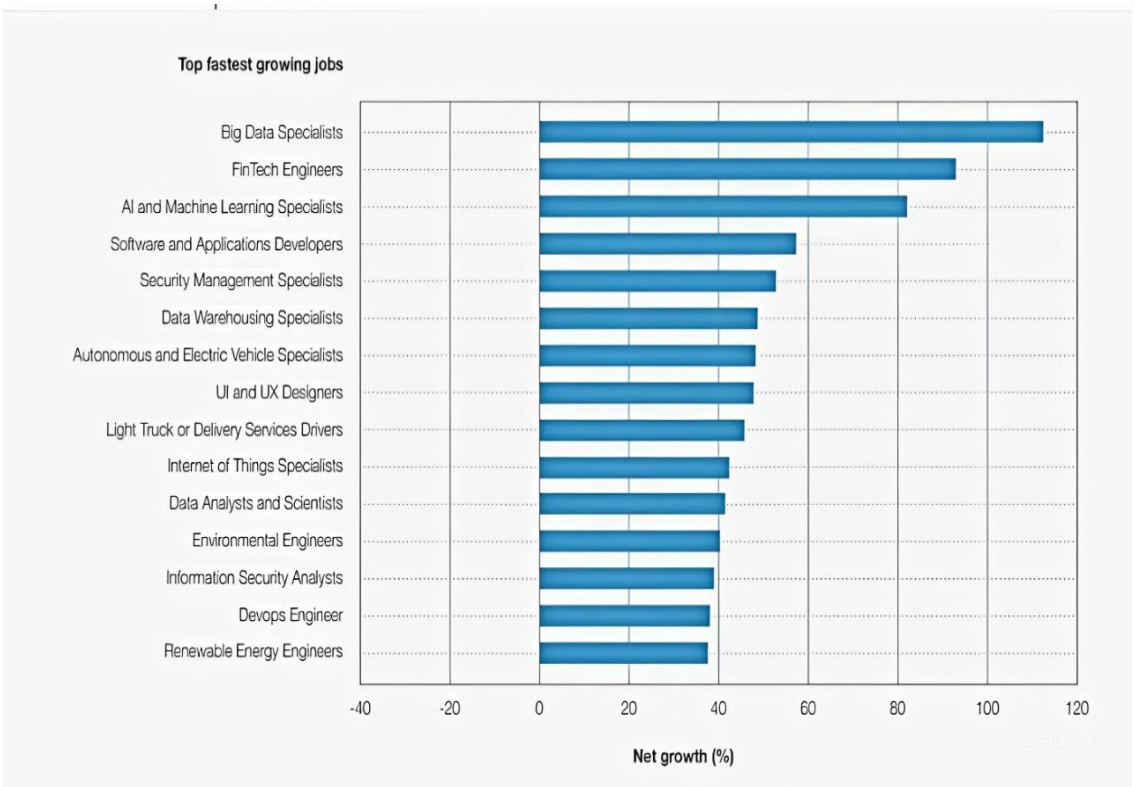
Top fastest growing jobs
Big Data Specialists
FinTech Engineers
AI and Machine Learning Specialists
Software and Applications Developers
Security Management Specialists
Data Warehousing Specialists
Autonomous and Electric Vehicle Specialists
UI and UX Designers
Light Truck or Delivery Services Drivers
Internet of Things Specialists
Data Analysts and Scientists
Environmental Engineers
Information Security Analysts
Devops Engineer
Renewable Energy Engineers
-40
-20
0
20
40
60
80
100
120
Net growth (%)

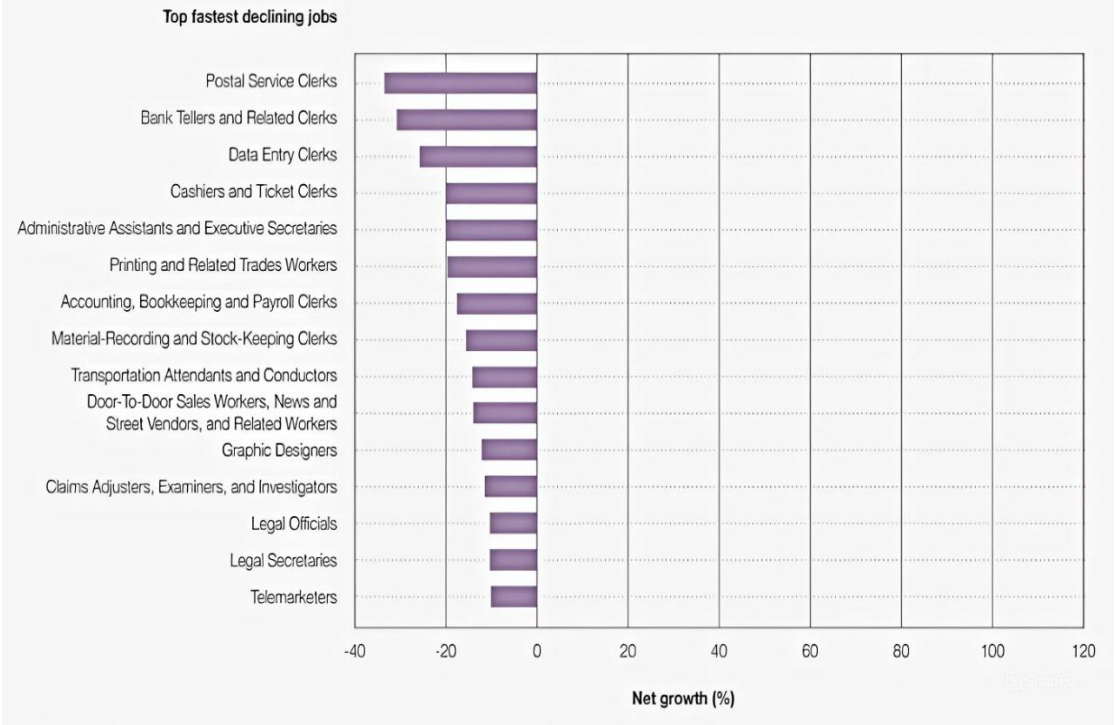
Top fastest declining jobs
Postal Service Clerks
Bank Tellers and Related Clerks
Data Entry Clerks
Cashiers and Ticket Clerks
Administrative Assistants and Executive Secretaries
Printing and Related Trades Workers
Accounting, Bookkeeping and Payroll Clerks
Material-Recording and Stock-Keeping Clerks
Transportation Attendants and Conductors
Door-To-Door Sales Workers, News and Street Vendors, and Related Workers
Graphic Designers
Claims Adjusters, Examiners, and Investigators
Legal Officials
Legal Secretaries
Telemarketers
-40
-20
0
20
40
60
80
100
120
Net growth (%)

Fastest-Growing and Fastest-Declining Jobs. 2025-2030
Top jobs by fastest net growth and net decline, projected by surveyed employers
Source: World Economic Forum, Future of Jobs Survey 2024

5- كيف تقرأ المستقبل قبل أن يصل؟ ... هنا تظهر خبرتك الحقيقية.

ولماذا لا تُولد الفرص دائمًا داخل إعلانات التوظيف؟

عندما نتأمل قصص الخريجين الذين استطاعوا أن يشقوا طريقهم بنجاح، نكتشف أن العامل المشترك بينهم لم يكن التقدير الدراسي وحده، ولا الحظ، ولا حتى الظروف الاستثنائية.

لقد امتلكوا مهارة مختلفة.

مهارة قلما نتحدث عنها داخل القاعات الدراسية.

إنها القدرة على قراءة المشهد من حولهم.

فبينما كان بعض زملائهم ينظرون إلى سوق العمل من خلال الوظائف المعلنة فقط، كانوا هم ينظرون إلى ما هو أبعد من ذلك؛ إلى الاتجاهات الاقتصادية، والتحولات الصناعية، وخطط التنمية، والقطاعات التي بدأت تنمو بصمت قبل أن تلفت انتباه الجميع.

لقد فهموا حقيقة بسيطة لكنها شديدة الأهمية:

الوظائف ليست هي التي تصنع الاقتصاد، بل الاقتصاد هو الذي يصنع الوظائف.

ومن يفهم حركة الاقتصاد يستطيع غالبًا أن يتوقع أين ستظهر الفرص القادمة.

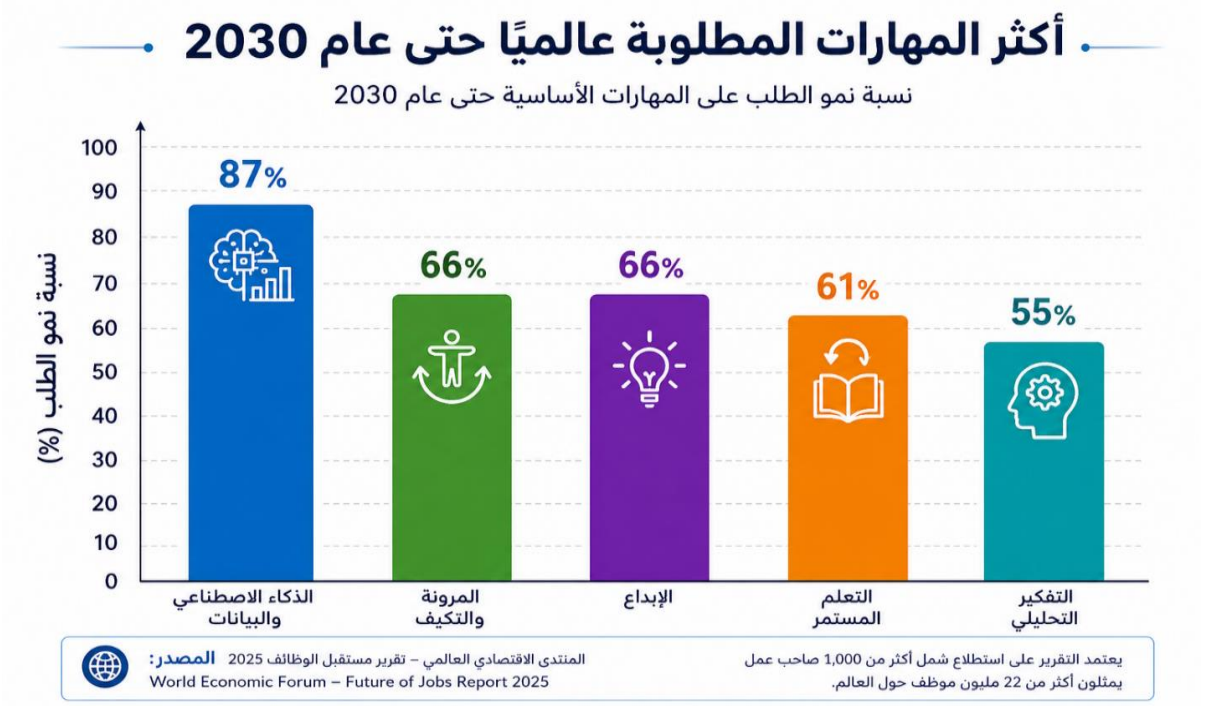

وفقًا لتقرير مستقبل الوظائف 2025 الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي، فإن نحو 39%من المهارات الأساسية المطلوبة في سوق العمل ستتغير بحلول عام 2030 نتيجة التطورات التقنية والتحولات الاقتصادية العالمية.

اللافت للنظر أن معظم المهارات الأعلى طلبًا ليست مرتبطة بتخصص بعينه، وإنما بطريقة التفكير والتعلم والتكيف مع التغيرات.

عندما تتحرك الدولة تتحرك معها الفرص

في العقود الماضية كان كثير من الخريجين يبحثون عن وظيفة بعد التخرج.

أما اليوم فأصبح من الضروري أن يبحث الخريج أولًا عن اتجاهات النمو.

فعندما تتوسع الدولة في استصلاح الأراضي الزراعية، لا تنشأ الحاجة فقط إلى مهندسين زراعيين، بل أيضًا إلى:

- علماء نبات .
- متخصصي تربة .
- خبراء جودة .
- باحثين في النباتات الطبية والعطرية .
- متخصصين في سلامة الغذاء .

وعندما تتوسع الصناعات الدوائية تظهر احتياجات جديدة لخريجي:

- الكيمياء .
- الميكروبيولوجي .
- الكيمياء الحيوية .
- التكنولوجيا الحيوية .

وعندما يتزايد الاهتمام بالاستدامة البيئية والاقتصاد الأخضر تظهر مجالات لم تكن مطروحة بقوة قبل سنوات قليلة.

قصة نجاح: عندما رأى فرصة داخل قطاع كامل

أذكر أحد الخريجين الذي بدأ حياته المهنية داخل معمل تحاليل صغير بإمكانات محدودة ودخل متواضع.

كان يمكن أن يظل سنوات طويلة في المكان نفسه منتظرًا فرصة أفضل.

لكنه لاحظ شيئًا مختلفًا.

شركات تصدير الحاصلات الزراعية كانت تتوسع بصورة متسارعة، وكانت تبحث باستمرار عن متخصصين يفهمون التحاليل ومعايير الجودة والمواصفات الدولية.

بدأ يتعلم.

قرأ.

حصل على تدريبات إضافية.

شارك في دورات متخصصة.

وبعد سنوات قليلة انتقل إلى قطاع مختلف تمامًا.

لم تتغير شهادته.

الذي تغير هو زاوية الرؤية.

لقد توقف عن البحث عن وظيفة، وبدأ يبحث عن قطاع ينمو.

أين يتجه العالم الآن؟

خريج يرى الوظائف... وخريج يرى المستقبل

الخريج الأول يسأل:

كم عدد الوظائف المتاحة الآن؟

أما الخريج الثاني فيسأل:

ما المجالات التي ستحتاج إلى الكفاءات بعد خمس سنوات؟

الأول يتعامل مع الحاضر.

أما الثاني فيستثمر في المستقبل.

وهنا يظهر الفارق الحقيقي.

فكثير من الفرص لا تبدأ بإعلان وظيفة، وإنما تبدأ بإشارة صغيرة داخل الاقتصاد، أو مشروع جديد، أو قطاع بدأ في النمو، أو مشكلة تبحث المؤسسات عن حل لها.

ومن يلتقط هذه الإشارات مبكرًا غالبًا ما يصل إلى الفرصة قبل أن تصبح مزدحمة بالمنافسين.

وقفة تأمل

خلال سنوات العمل الجامعي الطويلة، لاحظت أن أكثر الخريجين نجاحًا لم يكونوا دائمًا أولئك الذين عرفوا كل الإجابات، بل أولئك الذين تعلموا كيف يطرحون الأسئلة الصحيحة.

ولعل من أهم هذه الأسئلة:

إلى أين يتجه العالم؟

لأن الإجابة عن هذا السؤال قد تكون أحيانًا أكثر أهمية من الإجابة عن سؤال:

أين أعمل اليوم؟

6-من يقرأ الحاضر... ومن يقرأ المستقبل

عندما يبدأ الخريج رحلته المهنية، فإنه غالبًا ما ينشغل بالسؤال التقليدي:

أين أجد وظيفة؟

وهو سؤال طبيعي ومفهوم، لكنه ليس دائمًا السؤال الأكثر أهمية.

فالخريج الذي يكتفي بالنظر إلى الوظائف المتاحة اليوم قد ينجح في العثور على فرصة عمل، لكنه قد يفاجأ بعد سنوات قليلة بأن السوق تغير مرة أخرى، وأن المهارات التي اعتمد عليها لم تعد كافية للمنافسة.

أما الخريج الذي ينظر إلى ما هو أبعد من الحاضر، فإنه يطرح على نفسه سؤالًا مختلفًا:

ماذا سيحتاج هذا القطاع بعد خمس سنوات؟

وهنا يبدأ التفكير الاستراتيجي الحقيقي.

فحين تتبنى الدولة مشروعات قومية كبرى، أو تتوسع في قطاع معين، أو تعلن خططًا طويلة المدى للتنمية، فإنها لا تخلق فرص عمل آنية فقط، بل ترسم ملامح احتياجات مستقبلية ستظهر تدريجيًا خلال السنوات التالية.

فعندما نتأمل التوسع في المشروعات الزراعية واستصلاح الأراضي، لا ينبغي أن ننظر فقط إلى ما يتم تنفيذه اليوم، بل إلى ما سيترتب عليه غدًا من احتياج إلى خبراء في النباتات الطبية والعطرية، وسلامة الغذاء، والتكنولوجيا الحيوية الزراعية، وإدارة الموارد الطبيعية.

وعندما يزداد الاهتمام العالمي بالاقتصاد الأخضر، فإن القضية لا تتعلق بالبيئة وحدها، بل بمجالات كاملة ستنمو حول مفاهيم الاستدامة، وإدارة المخلفات، وإعادة التدوير، والحد من الانبعاثات، والاستخدام الرشيد للموارد.

وحين تتوسع الصناعات الدوائية والتكنولوجيا الحيوية، فإن الحاجة لن تقتصر على الباحثين والعاملين داخل المعامل، بل ستمتد إلى مجالات الجودة، والرقابة، والبحث والتطوير، والتشريعات العلمية، وإدارة الإنتاج.

أما الطاقة المتجددة، فقد أصبحت اليوم واحدة من أسرع القطاعات نموًا على مستوى العالم، وهو ما يفتح آفاقًا واسعة أمام التخصصات المرتبطة بالبيئة والكيمياء والفيزياء وعلوم المواد.

ولا يختلف الأمر كثيرًا بالنسبة للذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات، فهذه المجالات لم تعد حكرًا على خريجي علوم الحاسب فقط، بل أصبحت تحتاج إلى متخصصين قادرين على الجمع بين المعرفة العلمية العميقة والقدرة على تحليل البيانات واستخلاص النتائج وتوظيفها في حل المشكلات الواقعية.

ولذلك فإن السؤال الذي يصنع الفارق الحقيقي بين خريجين يمتلكان المؤهل العلمي نفسه قد لا يكون:

ماذا أستطيع أن أفعل الآن؟

بل:

ما الذي سيحتاجه المجتمع والاقتصاد بعد خمس سنوات؟ وكيف أبدأ الاستعداد له من اليوم؟

هذا السؤال وحده قادر على تغيير طريقة التفكير بالكامل.

فهو ينقل الإنسان من دائرة انتظار الفرص إلى دائرة الاستعداد لها، ومن البحث عن مكان شاغر إلى بناء قيمة حقيقية يحتاجها السوق مستقبلًا.

ولعل أكثر ما يميز الخريجين الذين استطاعوا صناعة مسارات مهنية ناجحة أنهم لم يكونوا منشغلين فقط بما يحدث اليوم، بل كانوا يحاولون دائمًا استشراف ما سيحدث غدًا.

لقد أدركوا أن الوظائف تأتي وتذهب، وأن بعض المهن تتغير أو تختفي، لكن القدرة على قراءة الاتجاهات المستقبلية تظل واحدة من أكثر المهارات قيمة في عالم سريع التغير.

ومن هنا يصبح الانتقال إلى السؤال التالي أمرًا طبيعيًا:

إذا كانت الفرص المستقبلية تُبنى على المهارات، فما المهارات التي تجعل بعض الخريجين أكثر قدرة على اقتناص هذه الفرص والتقدم بخطوات أسرع من غيرهم؟

7-المهارات التي لا تظهر في كشف الدرجات

من أكثر المشاهد التي تثير التأمل داخل الجامعة أن نرى طالبين يسيران في المسار الأكاديمي نفسه تقريبًا. يحضران المحاضرات ذاتها، ويدرسان المقررات نفسها، ويخضعان للاختبارات نفسها، بل وقد يتخرجان بالتقدير نفسه.

لكن بعد سنوات قليلة من التخرج تبدأ المسافات بينهما في الاتساع.

أحدهما يتقدم بخطوات ثابتة، ويستطيع الانتقال بين الفرص المهنية بثقة، بينما يجد الآخر نفسه يواجه صعوبة في إثبات وجوده داخل سوق العمل.

وهنا يطرح كثيرون السؤال المعتاد:

هل كان الأول أكثر ذكاءً؟

وفي كثير من الحالات تكون الإجابة: لا.

فالفرق الحقيقي لا يكمن دائمًا في المعرفة الأكاديمية وحدها، بل في مجموعة من المهارات التي لا تظهر في كشف الدرجات، ولا تُقاس بعدد الإجابات الصحيحة داخل قاعة الامتحان، لكنها تظهر بوضوح عندما ينتقل الخريج إلى الحياة المهنية.

ولعل ما يؤكد ذلك أن تقارير سوق العمل العالمية لم تعد تضع المعرفة التخصصية وحدها في مقدمة متطلبات النجاح، بل أصبحت تركز بصورة متزايدة على ما يُعرف بالمهارات القابلة للنقل(Transferable Skills) ، وهي المهارات التي يمكن توظيفها في مختلف الوظائف والقطاعات.

نافذة رقمية

وفقًا لتقرير Future of Jobs 2024 الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي، جاءت المهارات التالية ضمن أكثر المهارات أهمية خلال السنوات المقبلة:

أولًا: التواصل... مهارة تسبق المعرفة أحيانًا

قد يمتلك شخصان القدر نفسه من المعرفة العلمية، لكن قدرة أحدهما على عرض أفكاره بوضوح والتواصل مع الآخرين قد تمنحه فرصًا أكبر بكثير.

ففي بيئات العمل الحديثة لا يكفي أن تعرف، بل يجب أن تستطيع شرح ما تعرفه، والعمل مع الآخرين، وعرض أفكارك بصورة مقنعة.

وقد لاحظ أصحاب العمل في مختلف القطاعات أن ضعف التواصل من أكثر العقبات التي تواجه بعض الخريجين الجدد رغم تفوقهم الأكاديمي.

ثانيًا: التفكير النقدي

في الجامعة يتعلم الطالب الإجابة عن الأسئلة.

أما في الحياة المهنية فيُطلب منه أحيانًا أن يكتشف السؤال الصحيح من الأساس.

التفكير النقدي لا يعني الاعتراض أو النقد السلبي، بل يعني القدرة على تحليل المعلومات، والتمييز بين الحقائق والانطباعات، وفهم المشكلات من زوايا متعددة قبل اتخاذ القرار.

وهذه المهارة أصبحت أكثر أهمية من أي وقت مضى في عصر تتدفق فيه المعلومات بصورة غير مسبوقة.

ثالثًا: العمل الجماعي

لم تعد الإنجازات الكبرى في المؤسسات الحديثة تعتمد على الأفراد المنعزلين، بل على فرق عمل متكاملة.

ولهذا أصبح النجاح المهني مرتبطًا بقدرة الشخص على التعاون، وتبادل المعرفة، واحترام وجهات النظر المختلفة، والعمل نحو هدف مشترك.

فالعلم نفسه أصبح أكثر تشابكًا من أي وقت مضى، وأصبحت كثير من المشروعات تجمع بين تخصصات متعددة تعمل معًا لحل مشكلة واحدة.

رابعًا: التعلم الذاتي

ربما تكون هذه واحدة من أكثر المهارات أهمية في القرن الحادي والعشرين.

فالمعارف التي يكتسبها الطالب اليوم قد تحتاج إلى تحديث بعد سنوات قليلة، وبعض التقنيات التي يتعلمها الآن قد تستبدلها تقنيات جديدة خلال فترة قصيرة.

ولهذا لم يعد النجاح مرتبطًا فقط بما يعرفه الإنسان اليوم، بل بقدرته على تعلم ما لا يعرفه غدًا.

وقد يكون الفارق الأكبر بين خريجين متشابهين في المؤهل العلمي هو أن أحدهما توقف عن التعلم بعد التخرج، بينما اعتبر الآخر التخرج بداية مرحلة جديدة من التعلم المستمر.

خامسًا: المرونة والقدرة على التكيف

في عالم سريع التغير، لا تسير المسارات المهنية دائمًا كما خُطط لها.

قد تظهر فرص في مجالات لم تكن ضمن الحسابات، وقد تتغير احتياجات السوق بصورة مفاجئة، وقد يجد الخريج نفسه مطالبًا بتعلم مهارات جديدة أو الانتقال إلى مجال قريب من تخصصه الأصلي.

وهنا تظهر قيمة المرونة.

فالمرونة لا تعني التخلي عن الأهداف، بل تعني القدرة على تعديل الطريق دون فقدان الاتجاه.

وقد أثبتت التجارب أن الأشخاص الأكثر قدرة على التكيف مع المتغيرات غالبًا ما يكونون الأكثر قدرة على الاستمرار والنمو على المدى الطويل.

ما الذي تخبرنا به هذه المهارات؟

إن الرسالة الأساسية ليست أن الدرجات غير مهمة، فالتفوق الأكاديمي يظل إنجازًا يستحق التقدير، ويعكس الجدية والاجتهاد والانضباط. لكن الواقع يخبرنا أن النجاح المهني يبنى على أكثر من عنصر واحد.

ويلاحظ أن معظم هذه المهارات لا ترتبط بمقرر دراسي محدد، بل بطريقة التفكير والتعامل مع التحديات والمتغيرات.

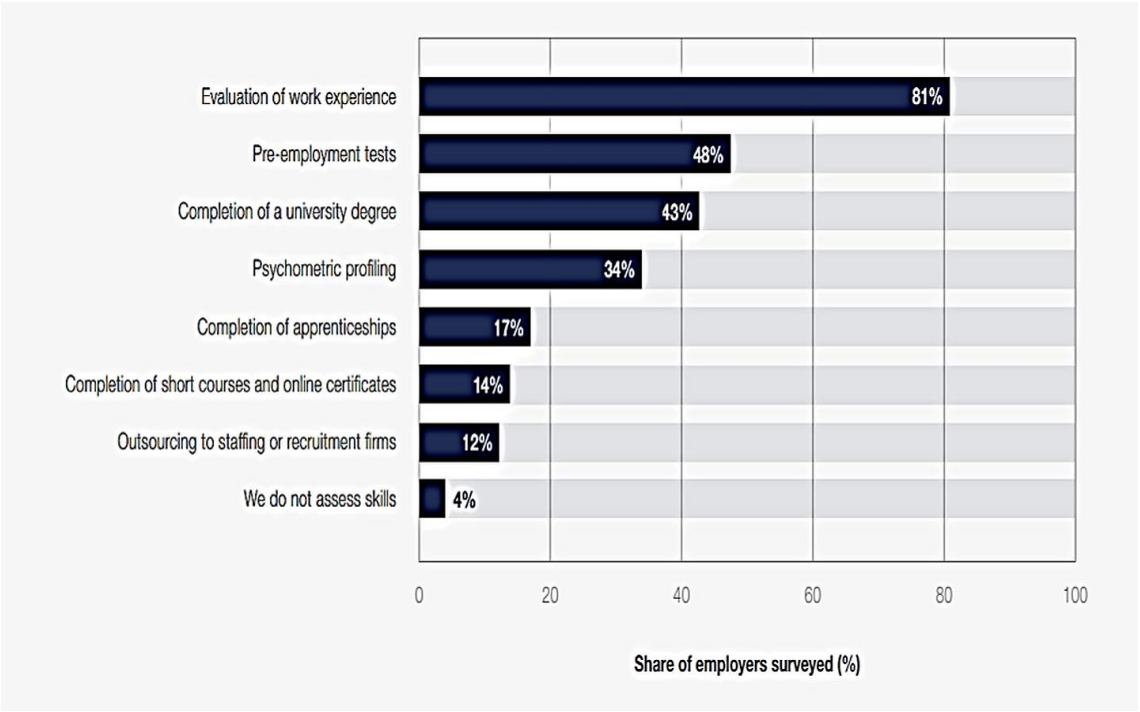

معايير تقييم المتقدمين للوظائف وفقًا لآراء أصحاب العمل.
.Skill assessment mechanisms, 2025-2030
Source: World Economic Forum, Future of Jobs Survey 2024.

وتؤكد البيانات العالمية هذه الحقيقة بوضوح. في هذا الرسم البياني الذي يوضح المعايير التي يعتمد عليها أصحاب العمل عند تقييم المتقدمين للوظائف.

ويتصدر تقييم الخبرة العملية القائمة بنسبة 81%،

يليه الاختبارات السابقة للتوظيف بنسبة 48%،

بينما تأتي الشهادة الجامعية في المرتبة الثالثة بنسبة 43%.

كما تظهر أهمية السمات الشخصية والقدرات السلوكية من خلال التقييمات النفسية (34%).

وفي المقابل، جاءت الدورات القصيرة والشهادات الإلكترونية بنسب أقل عند النظر إليها منفردة، وهو ما يشير إلى أن أصحاب العمل لا يبحثون عن الشهادات في حد ذاتها، بل عن قدرة حقيقية على تطبيق المعرفة وحل المشكلات والتكيف مع بيئة العمل.

ولعل الرسالة الأهم التي يحملها هذا الرسم هي أن الشهادة الجامعية ما زالت عنصرًا مهمًا، لكنها لم تعد العامل الوحيد أو الحاسم في اتخاذ قرار التوظيف.

فالخبرة العملية، والمهارات التطبيقية، والقدرة على إثبات الكفاءة أصبحت عوامل لا تقل أهمية عن المؤهل الأكاديمي نفسه.

وهنا نفهم بصورة أوضح لماذا قد يتخرج طالبان بالتقدير نفسه، ثم تتباين مساراتهما المهنية بعد سنوات قليلة؛ فالفارق لا يكمن دائمًا فيما كُتب في كشف الدرجات، بل فيما اكتسبه كل منهما من خبرات ومهارات وقدرة على تحويل المعرفة إلى قيمة حقيقية يحتاجها سوق العمل.

فالشهادة تمنح المعرفة، أما المهارات فتمكن صاحبها من توظيف هذه المعرفة وتحويلها إلى قيمة حقيقية.

ولهذا قد يتخرج طالبان بالتقدير نفسه، لكن أحدهما يمتلك أدوات إضافية تساعده على اكتشاف الفرص والتعامل مع التحديات والتعلم المستمر والتكيف مع المتغيرات، فيسبق الآخر بسنوات.

ولعل هذه الحقيقة تقودنا إلى السؤال الأخير في رحلتنا:

إذا كانت الشهادة والمعرفة والمهارات تمثل أدوات النجاح، فكيف يستطيع خريج العلوم أن يحول كل ذلك إلى مكان حقيقي يصنع فيه أثرًا وقيمة في المجتمع؟

8-المكان الحقيقي لا يُمنح... بل يُبنى

بعد كل ما ناقشناه في الصفحات السابقة، قد يظن البعض أن الحديث كان عن الوظائف، أو عن الشهادات، أو عن المهارات المطلوبة في سوق العمل.

لكن الحقيقة أن القضية أعمق من ذلك بكثير.

ففي جوهرها، كانت هذه الرحلة كلها تدور حول سؤال واحد:

كيف يجد الإنسان مكانه الحقيقي؟

ذلك المكان الذي يشعر فيه أن سنوات الدراسة لم تذهب هباءً، وأن جهده لم يكن مجرد سباق للحصول على شهادة أو تقدير، بل خطوة في طريق أطول نحو تحقيق قيمة حقيقية في الحياة.

وخلال سنوات طويلة قضيتها داخل الجامعة، رأيت أجيالًا متعاقبة من الطلاب يدخلون أبوابها وهم يحملون أحلامًا كبيرة، ثم يغادرونها وهم يحملون سؤالًا أكبر:

ماذا بعد؟

بعضهم وجد الإجابة سريعًا.

وبعضهم احتاج إلى سنوات من البحث والتجربة.

وبعضهم اكتشف أن الطريق الذي رسمه لنفسه لم يكن هو الطريق الذي سيقوده إلى مكانه الحقيقي.

لكن ما تعلمته من هذه الرحلة الطويلة أن المكان الحقيقي نادرًا ما يكون في انتظارنا عند نقطة الوصول.

فنحن لا نعثر عليه جاهزًا.

ولا نجده مكتوبًا في إعلان وظيفة.

ولا تمنحه لنا الشهادة مهما ارتفع تقديرها.

بل يتشكل تدريجيًا، خطوة بعد خطوة، مع كل معرفة نكتسبها، وكل تجربة نخوضها، وكل تحدٍ نتعلم منه، وكل مهارة نضيفها إلى ما نملك.

لقد رأيت خريجين بدأوا حياتهم المهنية من أماكن متواضعة لم يكونوا يحلمون بها يوم التخرج، ثم استطاعوا مع الوقت أن يصنعوا لأنفسهم مسارات مهنية متميزة لأنهم لم يسمحوا للظروف أن تحدد سقف طموحهم.

ورأيت آخرين ظنوا أن رحلة التعلم انتهت بمجرد الحصول على الشهادة، فتوقفوا عند النقطة التي كان يفترض أن تكون بدلاية الطريق.

وهنا تكمن إحدى أهم الحقائق التي تعلمتها من العمل الأكاديمي ومن متابعة الخريجين على مدى سنوات طويلة:

ليس المهم أين تبدأ، بل كيف تتطور.

فالعالم الذي نعيش فيه اليوم لا يكافئ فقط من يمتلك المعرفة، بل يكافئ من يستطيع أن يطورها، ويحدثها، ويستخدمها في الوقت المناسب، ويحولها إلى قيمة يحتاجها الآخرون.

ولهذا فإن السؤال الذي أنصح كل خريج أن يطرحه على نفسه ليس:

أين أجد وظيفة؟

ولا حتى:

ما الوظيفة التي تناسب تخصصي؟

بل:

ما القيمة التي أستطيع أن أقدمها بحيث يصبح وجودي إضافة حقيقية للمكان الذي أعمل فيه؟

فحين ينجح الإنسان في الإجابة عن هذا السؤال، يبدأ شيء مهم في الحدوث.

يتحول من باحث عن فرصة إلى صانع لها.

ومن منتظر للمستقبل إلى مشارك في صناعته.

ومن شخص يبحث عن مكان إلى شخص يبني مكانه بنفسه.

وربما لهذا السبب لم يكن أكثر الخريجين نجاحًا ممن عرفتهم هم أولئك الذين ساروا في طرق ممهدة وواضحة منذ البداية، بل الذين امتلكوا الشجاعة الكافية للتعلم من التجربة، والمرونة الكافية لتغيير المسار عند الحاجة، والإصرار الكافي للاستمرار رغم الصعوبات.

لقد أدركوا أن النجاح ليس محطة يصل إليها الإنسان، بل عملية مستمرة من النمو والتطور وإعادة اكتشاف الذات.

وفي عالم سريع التغير، قد تتبدل الوظائف، وتتغير المهارات المطلوبة، وتظهر مجالات جديدة لم تكن موجودة بالأمس، لكن تبقى هناك أشياء لا تفقد قيمتها أبدًا:

حب التعلم.

والاجتهاد.

والقدرة على التكيف.

والإيمان بأن لكل إنسان مكانًا يمكن أن يصنع فيه أثرًا حقيقيًا.

ولعل الرسالة التي أود أن أختم بها هذه المقالة، بعد أكثر من ربع قرن قضيتها بين قاعات الدراسة والمعامل ومناقشات الطلاب والخريجين، هي أن المستقبل لا ينتمي بالضرورة إلى أصحاب أعلى الدرجات، ولا إلى الأكثر حظًا، بل إلى أولئك الذين يواصلون التعلم، ويقرأون الواقع بعقول منفتحة، ويملكون الشجاعة لبناء أنفسهم من جديد كلما تغير العالم من حولهم.

فالمكان الحقيقي لا يُمنح لأحد.

إنه يُبنى... معرفةً بعد معرفة، وخبرةً بعد خبرة، وخطوةً بعد خطوة.

9-الخاتمة

ليس كل خريج سيبدأ من النقطة نفسها، وليس كل طريق سيبدو واضحًا منذ البداية. لكن ما تعلمته من سنوات طويلة داخل الجامعة أن أكثر الخريجين نجاحًا لم يكونوا دائمًا أصحاب أعلى الدرجات، بل كانوا أصحاب الرؤية الأوضح. أولئك الذين أدركوا أن الشهادة ليست نهاية الرحلة، وأن سوق العمل ليس بابًا واحدًا مغلقًا، بل طرق كثيرة لا يراها إلا من يتعلم كيف ينظر.

ففي عالم سريع التغير، قد تكون المعرفة هي البداية، وقد تكون المهارة هي الجسر، لكن القدرة على قراءة الواقع واستشراف المستقبل تظل هي البوصلة التي تقود الإنسان إلى مكانه الحقيقي.

نلتقي إن شاء الله في مقالي القادم بعنوان

10- المراجع

- **OECD (2024), *OECD Economic Surveys: Egypt 2024*, OECD Publishing, Paris, https://doi.org/10.1787/af900de2-en.**
- **Leopold, T., Di Battista, A., Jativa, X., Sharma, S., Li, R., & Grayling, S. (2025). Future of jobs report 2025. In *World Economic Forum*.**
- **Lee, S. H. (2020). Skills development driven by labor market demand. In *Anticipating and Preparing for Emerging Skills and Jobs: Key Issues, Concerns, and Prospects* (pp. 271-277). Singapore: Springer Singapore.**
- **Andabayeva, G., Movchun, V., Dubovik, M., Kurpebayeva, G., & Cai, X. (2024). Labor market dynamics in developing countries: analysis of**

employment transformation at the macro-level. *Journal of Innovation and Entrepreneurship*, *13*(1), 65.

- **وحيد جرجس صالح & ,اماني. (2024). رؤية مستقبلية لتلبية الطلب الاجتماعي على التعليم الجامعي بمصر على ضوء بعض النماذج العالمية .*مجلة كلية التربية (أسيوط)*.110-1 ,(6.2)*40* ,**
- **عبد الحميد محمد أحمد شكر & ,أماني. (2024). انعكاسات سياسات التعليم العالي على مواكبة سوق العمل: دراسة تحليلية .*مجلة تطوير الأداء الجامعى*.192-128 ,(2)*26* ,**